ورقة عمل بعنوان:

الأدبُ العربيّ والتقنيّات الحديثة
"الأدبُ التَّفاعُليّ نموذجًا"

د. طه على خليفة أحمد

مدرس بكلية الألسن بالغردقة- جامعة جنوب الوادي

الملخص:

تساهم الثورة التكنولوجية الهائلة، في التطور السريع في كل مناحي الحياة من حولنا، وما الأدب إلا منحى من هذه المناحي، وقد امتدتْ إليه أهداب التطور التكنولوجي، فأدى ذلك إلى ولادة جنسٍ أدبي جديد، يزاوج بين الأدب والتكنولوجيا، وهو ما يسمى بالأدب التَّفاعُليّ، والذي لا يقتصر على جنسٍ أدبي واحد، بل يمتد إلى كثيرٍ من الأجناس الأدبية، من شعرٍ ونثرٍ ومسرحٍ وقصةٍ وروايةٍ، ...إلخ، وذلك من خلال استفادة هذا الجنس الأدبي الجديد من التقنيات الحديثة، فيخلق – من خلالها– نوعًا من المشاركة الفعَّالة بين المبدع والمتلقي، ما يقوّي الشعور لدي المتلقي بأنه مبدع –أيضًا– فقد يطرح الأديب النص الأدبي التَّفاعُليّ على أحد المواقع الإليكترونية، ويترك للقارئ أو المتلقي حرية إكمال النص، أو تعديله، فيعطي بذلك فرصة الحوار المباشر، وأحيانًا يطرح الأديب نقطة الانطلاق، ويترك للمتلقي حرية المشاركة، وبذلك تكون نهايات النص في كثير من الأحيان مفتوحة.

كلمات مفتاحية:

التقنيات الحديثة– النصُّ التَّفاعُليّ والمترابط– الأدب العربيّ التَّفاعُليّ،...

مقدِّمة:

يشهد عصرنا الحالي تطوُّرًا هائلاً في وسائل التكنولوجيا الحديثة، والاتصال بين البشر، وقد أسهمت تلك الوسائل في سرعة انتشار الطروحات والمعارف والأفكار في شتى مناحي المعروفة، وكان لكل ذلك أثره على الأدب عامة، وعلى الكتابة الإبداعيَّة خاصة، والتي حاولت تسخير تلك التقنيات الحديثة في خدمة النصِّ الإبداعيّ، ليصطدم القراء والنقاد بأنماط أدبيَّة لم يألفوها، حيث فرض النصُّ التَّفاعُليّ نفسه على الساحة الأدبيَّة، وكان على النقَّاد ضرورة التعامل معه، والإلمام بأدواته وتقنياته؛ وإفراد مساحة كبيرة؛ لمشاركة المتلقِّي في صميم العمل الإبداعيّ، وقد جاءت هذه الورقة مستخدمة المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ لتوضح مفهوم الأدب التَّفاعُليّ، وأجناسه الأدبية، ثم إشكالية وجوده، ومدى تقبّله، وختام هذه الورقة جاء بالنتائج والتوصيات، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

ماهية الأدب التَّفاعُليّ:

الحقيقة لا يوجد تعريفٌ ثابتٌ للدلالة على هذا النمط الجديد، فهو نوع جديد في حقل الأدب، يتشكل معتمدًا على أجهزة وتقنيات التكنولوجيا الحديثة، وقد عبر عنه الأدباء والنقاد بمصطلحات متنوعة، لكنها متوحدة في مدلولها، نحو: الأدب التَّفاعُليّ، الأدب المترابط، الأدب الرقمي، الأدب الإلكتروني، الأدب المعلوماتي، الأدب التشعّبي، الأدب المتفرع، وما إلى ذلك، ولعل أقرب هذه التعريفات، تعريف الناقد سعيد يقطين، الذي يرى أنه: "مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة من قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورًا جديدة في الإنتاج والتلقي"([1])، ويجب علينا أن نضيف على هذا التعريف، صفة المشاركة والتعليق –في نفس الوقت أيضًا– أي مشاركة القارئ في العملية الإبداعية، وربما يتشارك في النص الإبداعي أكثر من أديب، من خلال النصوص المشتركة، ويمكن للقارئ التعليق المباشر مهما تباعدت المسافة بين المبدع والمتلقي، ومن هنا كانت أهمية الثورة الرقمية لإنتاجية أعمال إبداعية جديدة.

الأجناس الأدبية للأدب التَّفاعُليّ:

تندرج عدَّة أجناس أدبيَّة تحت مسمَّى الأدب التَّفاعُليّ، وبعض هذه الأجناس قديم، إلا إنَّه قد أصاب حظًّا من التطوُّر، وبعض هذه الأجناس وليد عصر التكنولوجيا، وهذه الأجناس الأدبية الجديدة خرجتْ من رحم التكنولوجيا، ومَن ثم فهي أجناس حداثية على ذائقتنا الأدبية، وبالرغم من الصعوبة في أن نجمع بين الأدب والتكنولوجيا، فالأول يتعلق بالإحساس والعاطفة، بينما الثاني يتعلق بآلة عديمة الإحساس والعاطفة، والجمع بين النقائض يمثل صعوبة قد تستعصي على الفهم العقلي، لكن الحداثة –فيما يرى النقاد– قد نجحتْ في فك الشيفرات، لتنتج لنا أشكالا جديدة من الأدب، بحكم اختلاف العصر وبالتطور الزماني، ومن أهم تلك الأجناس:

–الرواية التَّفاعُليّة:

ويطلق عليها بعض النقاد "الرواية الرقميَّة"، وهي نوع جديد من الأجناس الأدبيَّة يعتمد في بنائه نظام الروابط، أي تكون الرواية فيه مقسَّمة على شكل روابط، يحتوي كل رابط على جزء من الرواية يصلح أن يكون مستقلاً عنها، وذلك لعدم تأثره بطريقة القراءة الخطيَّة للنص المكتوب، كما يحتفظ كلُّ جزء من هذه الرواية بعلاقة مع بقيَّة أجزاء الرواية الأخرى، وقد ظهرت أوَّل رواية تفاعليَّة في الغرب في العام 1986م، وكانت بعنوان:(قصة ما بعد الظهيرة) للكاتب:(ميشيل جويس)، والذي استخدم فيها برنامجا حاسوبيًّا يسمى بالمسرد (story space)، وكانت الرواية مكتوبة باللغة الإنجليزيَّة، ثم ظهرت روايات تفاعليَّة أخرى مكتوبة باللغة الفرنسيَّة مثل رواية:

1 – سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي، المغرب 2005م، ص 9.

(عشرون في المائة حب زيادة) لـ(فرانسوا كولون)، ورواية: (الزمن القذر) لـ(فرانك دوفور)، وكان ذلك في العام 1996م، ثم تتابعت كتابة الروايات التَّفاعُليّة في الغرب(2)، أمَّا أوَّل رواية تفاعليَّة في الفضاء العربيّ فهي رواية: (ظلال الواحد) للكاتب الأردنيّ: محمد سناجلة، وكان ذلك في العام 2001م، وقد نشرها على موقعه على الإنترنت، ليصبح رائد الرواية التَّفاعُليّة العربيَّة، والذي استطاع أن يوظِّف تقنيات النصِّ المتفرَّع، وخاصيَّة التفرع في بناء سرديَّة لا تخضع لمنطق الخطيَّة في بنائها السردي(3)، ويتضح من هذا أنَّ الرواية التَّفاعُليّة قد حاولت التخلُّص من مبدأ خطيَّة الرواية المكتوبة مع الاحتفاظ بكينونتها الروائيَّة، إلاَّ أنَّها انتهت إلى نوع آخر من الأجناس الأدبيَّة تتداخل في بنائه عناصر وتقنيات لم تكن لها علاقة بالكتابة الروائيَّة في السابق، مثل الموسيقى ومقاطع الفيديو.

-القصيدة التَّفاعُليّة:

تعتمد القصيدة التَّفاعُليّة في بنائها وتركيبها، وتلقِّيها على الوسائط الإلكترونيَّة الحديثة، فنجدها منشورة على مواقع الإنترنت، أو من خلال أقراص مدمجة، يتمُّ تشغيلها عبر الأجهزة التكنولوجية، خاصة أجهزة الكمبيوتر.

-المسرحيَّة التَّفاعُليّة:

معروف أن المسرحيَّة التقليديَّة تعتمد في بنائها على عنصرين، هما: النصُّ، والعرض، ويمثِّل العنصر الأول (النصُّ) المادة الخام التي تتكوَّن منها المسرحيَّة، بينما يمثِّل العنصر الثاني(العرض) الوسيلة أو القالب التي يُقدَّم فيه العنصر الأول(النصُّ) على شكل حوار ومشاهد وإطار زماني ومكاني، وظلَّت هذه الثنائيَّة البنائيَّة هي السائدة في تكوين المسرحيَّة التقليديَّة حتى ظهرت المسرحيَّة التَّفاعُليّة، والتي تعتمد في بنائها على تقنيات الحاسوب ووسائطه المتعدِّدة، فأصبح للنصِّ المسرحي التَّفاعُليّ عقدًا وروابطًا تشعبيَّة متشابكة، وتمكِّن تلك الروابط المتلقيّ من المشاركة في بناء النصِّ المسرحيّ، وتحديد مساره، كما تتيح له حريَّة الاختيار في متابعة الشخصيَّة التي يختارها عبر تلك الروابط، وهذا النوع من المسرحيَّات التَّفاعُليّة لم يظهر بعد في الفضاء العربيّ، وذلك لأسباب حضاريَّة وثقافيَّة وتكوينيَّة للمسرحين، وبعضها متعلِّق بالمتلقي الذي يعاني الغربة القرائيَّة، ناهيك عن تفاعله مع الشبكة والإبداع المعروض فيها([4]).

---

2 - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1/ الدار البيضاء- بيروت، المركز الثقافي العربي، سنة2006م، ص 114.

3 - السابق، ص 122.

4 - حمزة قريرة: المسرح التفاعليُّ- إشكاليَّة البناء وأزمة التلقيّ، (مجلة العلامة، العدد: 2، 2016م)، ص: (199-198).

واقع الأدب العربيّ التّفاعُليّ:

إن التجربة العربية في الأدب التَّفاعُليّ لا تزال في سنها الصغير، إذ لم تنتج إنتاجات إبداعية تفاعلية في الأدب العربي التَّفاعُليّ، فشأن الأدب التَّفاعُليّ عند العرب شأن كل جديد في المعرفة والفكر، فتجربتهم فيه في حالة من التجاذب بين القبول والرفض، إلا ما قام به الأديب الأردني: محمد سناجلة، والذي أنتج ثلاثة أعمال أدبية تفاعلية، وهي: "ظلال الواحد" و "شات" و "صقيع"، وما قام به الشاعر العراقي: مشتاق عباس بقصيدة رقمية، وبذلك يمكن القول: إن محمد سناجلة يعد رائدا للأدب التَّفاعُليّ العربي، وقد ولد في دير سعنة من الأردن عام 1968م([5])، ويقول محمد سناجلة عن تجربته في روايته: "ظلال الواحد" (2001)، وهي أول رواية تفاعلية: "فقد تم شن الهجوم إثر الهجوم على ظلال الواحد باعتبارها عملاً صعبًا ومرهقًا وغير مفهوم، وأراح البعض الآخر رؤوسهم باعتبارها عملاً لا يمكن قراءته، كما شن نقاد آخرون الهجوم على الرواية لاعتمادها على النظريات العلمية، بل وبلغ الأمر بأحد (النقَّاد) أن ادّعى أنَّ الرواية والعلم لا يمكن أن يلتقيا، وبذا فقد أخرج ظلال الواحد من كينونتها باعتبارها عملاً روائيًا".

ويتضح من هذا النصِّ حجم الرفض الذي قوبلت به أوَّل رواية تفاعليَّة، وكان ذلك بسبب غرابة الأمر عن الساحة الأدبيَّة العربيَّة، فهو رفض يندرج تحت إطار أنَّ الناس أعداء ما يجهلون، كما أنَّ هذا الرفض لم يثنِ محمد سناجلة، وغيره من المبدعين من كتابة أعمال تفاعليَّة أخرى، على الرغم من الهجوم الذي يتعرَّض هذا الأدب الجديد، فقد ظهرت بعد ذلك أعمال تفاعليَّة أخرى لمحمد سناجلة نفسه مثل رواية (شات) ومجموعته القصصية (صقيع)([6]).

كما ظهرت قصيدة: "تباريح لسيرة بعضها أزرق"، للشاعر العراقي عباس مشتاق، و"قصة ربع مخيفة"، للكاتب الروائي المصري: خالد أحمد توفيق، و"احتمالات" لمحمد شويكة، و"الكنبة الحمرا"، للسيناريست: بلال حسني، و"سيرة بني زرياب" للشاعر: محمد الفخراني، بالإضافة إلى استخدام المسرحي العراقي: محمد حبيب تقنيات الأدب التَّفاعُليّ في مسرحيَّاته الافتراضيَّة([7])، وظهور كلِّ هذه الأعمال التَّفاعُليّة مؤشِّر على سير الأدب العربيِّ نحو التَّفاعُليّة، إلَّا أنَّه يظل سيرًا بطيئًا وقلقًا، بجانب الأعمال التقليديَّة، والتي مازالتْ تسيطر على مساحة مقدَّرة من الساحة الإبداعيَّة العربيَّة، على الرغم مما يعانيه الأدب المكتوب من ركود، ومن تراجع ثقافة القراءة.

---

5 – من يريد معرفة المزيد عن الأديب: محمد سناجلة، وعن مساهماته في الأدب التفاعلي، يمكنه زيارة الموقع الرسمي لاتحاد كتاب الإنترنت العرب www.arab-ewriters.com وموقعه الشخصي:.www.sanajilehshadows.com8k

6 – السابق.

7 – جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظريَّة والتطبيق، بدون (ط)، سنة 2016م ص: 53– 54.

خاتمة الورقة:

إن الأدب التَّفاعُليّ هو شكل وأسلوب جديد، وأيضًا لغة جديدة؛ للتعبير عن العواطف والأخيلة، بمساعدة الأجهزة والتقنيات الحديثة، وأحيانًا باستخدام الصور والفيديو والنصوص المترابطة، ولا شك إن هذه التطورات والتقدم، نتيجة التنمية العالية في حقل العلوم والتقنية المعلوماتية، وعلينا أن ندرك أن هذا الانتقال من النص المطبوع إلى النص التَّفاعُليّ، لا يدعو إلى ترك، أو موت الأدب التقليدي، ولا بموت أية وسيلة من التعبير والنشر، لكنه الانتقال الطبيعي لانخراط المبدع في الثقافة الرقمية، وإنتاج مؤلفات أدبية تفاعليَّة، فقد صار المجتمع رقميًا، فلا التكنولوجيا تبغي إلغاء الأدب، ولا بقاء الأدب يمكن أن يستمرّ بمنأى عن التكنولوجيا، ذلك أنّ طبيعة الأدب، التي تخضع دومًا لتبدّلات وتغيّرات في الشكل والمضمون، وفق معياريّ التقليد والحداثة، غدتْ التكنولوجيا بالنسبة لها معيارًا حديثًا، أسس لجنسٍ أدبيّ جديد، هو الأدب التَّفاعُليّ، والذي –لاشك– سيكون أدبًا مقبولا عند الجيل الجديد، أكثر من الأدب المطبوع، ومن اللازم للمبدع العربي المعاصر أن يستفيد من مثل هذه الوسائل العلمية والأجهزة الإلكترونية على وجه الإيجابيات.

المصادر والمراجع:

–**سعيد يقطين:** من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التَّفاعُليّ، المركز الثقافي، المغرب، سنة 2005م.

–**فاطمة البريكي:** مدخل إلى الأدب التَّفاعُليّ، ط1/ الدار البيضاء– بيروت، المركز الثقافي العربي، سنة2006م.

– **حمزة قريرة:** المسرح التَّفاعُليّ– إشكاليَّة البناء وأزمة التلقيّ، (مجلة العلامة، الجزائر، العدد: 2، 2016م).

–**جميل حمداوي:** الأدب الرقمي بين النظريَّة والتطبيق، ط/ المغرب العربي، سنة 2016م.

–**الموقع الرسمي لاتحاد كتاب الإنترنت العرب** www.arab–ewriters.com **وموقع محمد سناجلة الشخصي:**.www.sanajilehshadows.k.com8.

****